شعراء الموسم فى الميزان

نقد وتحليل

للأديب عباس حسان خضر

— ١ —

ما أظن أننا كنا نجد فرصة ، مثل موسم الشعر ، نقف فيها إلى الشعراء لنرى ما عندهم ، فقد أنشد كل شاعر قصيدة هى خير ما عنده ، أو من خير ما عنده . ولو أن الحفل كان لمناسبة من المناسبات التى يقال فيها الشعر فى غرض واحد ، لما كان يصح أن تكون مقياساً لتفاوت الشعراء وتفاضلهم ، فقد لا يجيد شاعر فى الرثاء مثلا ويجيد فى غيره ، وفى الوقت نفسه يكون إلى جانبه شاعر على عكسه فى ذلك . أما موسم الشعر فقد قال فيه كل شاعر فيما يحسنه ، وما تواتيه قريحته فى تناوله ، فالموسم إذن ميزان تميل كفته بالراجح فى الشعر لا ينقص من قدره شىء

ولقد كان الناس يقولون بانقضاء الشعر بعد شوقى وحافظ ، وكان الشعراء يدافعون هذا القول بوثبات غير مقنعة كل الاقناع ، ولكن موسم الشعر حمل إلى الناس دليلا على أن فى الجيل الحاضر جيلاً من الشعراء لا بأس به فى مجموعه ، وإن كان منهم من برز وبرع

ولكن الفرصة كادت أن تفلت ، وكاد الموسم يقضى بانقضاء الساعتين اللتين شغلهما الشعراء بالقاء القصائد ، مودعاً بكلمات إخبارية من الصحف لا تغنى عن النقد شيئاً ؛ فلم يقض الموسم من عمره إلا المرحلة الأولى وهى عرض الشعراء قصائدهم ، فما كادوا ينتهون من ذلك حتى انفضت السوق ولم ينصب لهم ميزان ؛ والحق أننى كنت أوثر أن أكون شاهدا للموسم ، مستمتعاً بما يجرى فيه على أن أجوب معمعته وأقيم ميزان النقد فى سوقه ؛ ولكن النقاد حرمونى هذه المتعة باحجامهم عن النقد ، ولست أدرى لماذا أحجموا

أما وقد أخذت على نفسى أن أسلك فى هذه المهمة سبيل الحق ، عالماً بما فى هذا السبيل من أشواك ، موطد العزم على اجتيازها ، فلا يبقى إلا رجاء التوفيق وإلهام الصواب . وأخذا فى تلك السبيل سنتبع فى تصفح القصائد وتفحصها ترتيب الشعراء أنفسهم فى الالقاء إذ كان ذلك على حسب الحروف الهجائية

عاصفة روح

قصيدتان ألقاهما الدكتور ابراهيم ناجى ، وقدم لهما بهذه العبارة : « قصة نفس ، ذات فصلين : الأول ثورة النفس بينما الزورق يغرق والملاح يستصرخ ؛ والثانى استيقاظ الكبرياء بعد هدوء العاصفة »

والواقع أن هذه العناوين : «عاصفة روح . قصة نفس . ثورة نفس . كبرياء » ليست ذات حظ كبير من المدلولات فى القصيدتين ، نستثنى منها « الكبرياء » لأربعة أبيات فى آخر القصيدة الثانية التى سماها بهذا الاسم (الكبرياء) تحدث فى هذه الأبيات عن الشمم والكبرياء حديثاً يملأ النفس ويفعم القلب ، وهى :

أيخيفنى العشب الضعيف أنا الذى
أسلمت للشوك المضل أديمى
وإذا ونى قلبى يدق مكانه شممى وتخفق كبرياء همومى
ورجعت أحمل جبتى متحدياً زمنى بها وحواسدى وخصومى
ورفعت نحو الله رأسا ما انحنى بالذل يوماً فى رحاب عظيم

وهذه أبيات جيدة ؛ غير أن كبرياء الهموم أمر لا يطاق ! وسياق المعنى يقتضى كبرياءه هو لا كبرياء همومه ؛ أما فيما عدا هذه الأبيات فلا تجد روحاً ، لا عاصفة ولا غير عاصفة ، ولا تجد

به ود النقود ، ولم يتملق به عاطفة الجمهور ، ولم يستل به سخيمة فى نفسه ، اختفت هذه العيوب التى نشكوها ، وقويت الصراحة على هذا الضعف ، وأحجم غير الأكفاء أن يلجوا بابه ويقتحموه ولوجهم له اليوم ، وكان ما يدور بين الكتاب والأدباء والعلماء درساً من دروس عامة يفيد منها الجمهور وتفيد منها البيئة الأدبية ، ثم كان هذا النقد أساساً صخريا فى بناء نهضتنا الأدبية فى عصرنا الحاضر

هذا وحسبى يا سيدى الأستاذ أن أكون فى كلمتى هذه قد بثثتك بعض ما يحسّ به كثير من القراء فى الخارج ، وقد يكون بعض ما يحسّ به كثيرون فى مصر ؛ ورجاؤنا أن يتسع صدر (الرسالة) لمثل هذا النقد اتساعه للنواحى الأخرى التى نرى ، وأن تكون رسالتها سفارة الحقيقة المبسوطة بين الكتاب والقراء لا ترعى فى ذلك غير ما تعتنيه إياها المقاييس الأدبية ؛ والسلام على الاستاذ ورحمة الله وبركاته

محمد رفيع اللبابيدى

فى قصيدة « ثورة نفس » وهى الفصل الأول (للاقصة) نفساً ، لا ثائرة ولا هادئة ؛ وانما هى ثورة كلمات على أوضاع الكلام ، وتمرد عبارات على أداء المعانى . . مهلاً أيها القلم ، لقد قالوا إن هذا شعر جديد . . وأغض النظر عن كلمتى جديد وقديم ، وأناقش هذا الكلام على أنه شعر لابد أن يؤثر فى النفس ، ولابد أن يصاغ فى عبارات سليمة ، ولن تغنى كلمة جديد عن شىء من ذلك

يقول الشاعر :

أين شـــط الرجاء يا عبـاب الهموم
ليـــلتى أنواء ونهـــارى غيوم
أعولى يا جراحُ أسمعى الديان
لا يهـــم الرياح زورق غضبان
البـــلى والثقوبُ فى صميم الشراع
والضنى والشحوب وخيـــال الوداع

الى هنا تستطيع أن تعرف أن نفساً غارقة فى الهموم تسأل عن شط الرجاء ، وتشكو من أنواء الليل وغيوم النهار ، وتطلب الى جراحها أن تعول لتسمع الديان ، فالرياح لا يهمها زورق يقول عنه الشاعر : غضبان ؛ مع أن الرياح هى الغاضبة عليه ، وأما هو فسكين ، رقيق الحال ، بال ، مثقوب الشراع ؛ ويظهر أن الضنى والشحوب وخيال الوداع من آلام تلك النفس ، إذ لم يقل لنا ماذا جرى لها ، وليس فيما قبلها ماله صلة بها . إلى هنا تستطيع أن تدرك معنى هذا الكلام ، وان كان لم يؤد اليك تأدية شعرية تصل الى نفسك ، أما ما بعد ذلك فكلمات ساخبة فى بحر من النظم ، وعبارات متمردة ثائرة : فالسكين ترقص ، والفجر مذبوح ، والدجى مخمور ، والردى سكران ، والظلام يتولى فى عناق الصخور ؛ ولا يقولن أحدٌ أننى أبتر الكلام ، فهذان البيتان :

كان رؤيا منـام كأسك المـــحور
يا ضفاف الســـلام تحت عرش النور

ما معناها ؟ ضفاف السلام التى تحت عرش النور كأسها المسحور كان رؤيا منام ! !

وللمتأمل يرى أن فى القصيدتين محاولة لتصوير قصة نفس وابراز فكرتها وهى اعتصام النفس بالكبرياء من عواصف الهموم والآلام ، ذلك أن النفس الكبيرة تمر بها الهموم والآلام لا تنال منها شيئاً ، وإن استسلمت لتواردها فانها لا تلبث أن تمتنع منها بالكبرياء والشمم ؛ ولكن القصة وفكرتها لم يأخذا حظهما من التصوير والابراز

أبو الطيار

وهى قصيدة الأستاذ أحمد رامى ، مستواها عادى ، ومعانيها عامة وقليلة ، ونستطيع أن نقول إنها قصيدة لفظية ، فألفاظها سمحة وإن كانت ضنينة بالمعانى . ومن يسمع هذه القصـــيدة أو يقرؤها يدرك قصور الشاعر عن التحدث فى موضوع القصيدة عن خوالج نفسه ، أو باقفار النفس من الخوالج فى هذا الصدد

يقول فى مطلع القصيدة :

فى سكون المساء والبحر ساج والسحاب العبير فى الجو سار
كنت أرنو إلى الغروب وأروى ناظرى من صبابة الأنوار
فاذا بى ألتى دخاناً ولا غيـ ـم وريحاً وليس من إعصار
فتبينت أستشف جبين الـ ـأفق من بين هذه الأستار
فاذا هى جماعة من بنات الـ ـريح تطوى الفضاء عبر البحار

أعجبنى البيت الثانى ، ومن حسنه التعبير بصبابة الأنوار عما يكون وقت الغروب ، وتروية النظر بهذه الصبابة التى هى أجمل من النور كله ؛ وبعد ذلك يقول إنه لقى دخاناً غير مصحوب بغيم وريحاً ليست من إعصار ، فلما كان الدخان من غير غيم والريح من غير إعصار ، فقد جعل يتبين .. الخ ، وفى هذا خطأ فى ترتيب الفكر فليس الدخان ينشأ من الغيم ، والريح لا يلزم أن تكون من إعصار ، حتى يتلمس لهما سبباً آخر . على أنه لا يزال فى موقفه ومشهده ، ويذكر فى البيت الأول أن السحاب يسير فى الجو ، ثم يقول فى الثالث : لا غيم . وهل الغيم سوى السحاب ؟ ! . وفى البيت الخامس يشبه سير الطيارات فى الفضاء بعبور البحار ، وهذا التشبيه ليس إلا عبرا إلى القافية

والتعبير « حداة الرياح » فى قوله :

يا حداة الرياح ماذا لقيتم من ركوب الأهوال والأخطار

ليس من الصواب فى شىء لأنهم لا يسوقون الرياح ولا يغنون لها ، وإلا فما معنى حُداء الرياح ؟

ومن الأبيات الحسان فى القصيدة قوله عن الطيار :

وأبو الهول فى الفلا كاد يقضى ثم يرنو اليـــه بالأنظار

وإن كان أبو الهول فى فلاة واحدة لا فى « فلا » متعددة والملتقى عند قصيدة « صرعى الأغراض » للأستاذ أحمد الزين

عباس حسان خضر